المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 25-08-2006 العـــدد : 2156
الصفحـات : 14 المسلسل : 113

جدوى الثقافة الخيرية

لا يزال مفهوم العمل التطوعي عائماً وقضفاضاً في ثقافتنا المحلية وربما على المستوى العملي تحديداً، ورغم حب أفراد مجتمعنا للعمل الخيري التطوعي انطلاقاً من مبدأ التكافل الاجتماعي إلا أن تجربة السنوات الماضية كشفت لنا بعض حقائق العمل الخيري التطوعي التي أهمها هشاشة تطبيق النظم لغايات العمل الخيري من خلال التجاوزات المؤسساتية إذ قد يتم توجيه بعض الأعمال الخيرية وفق "أجندة" أخرى غير معمول بها أمام الجهات الرسمية.

ورغم الرقابة على الأعمال الخيرية الآن إلا أن هناك تجاوزاً للدور المحدد الذي من المفترض أن تؤديه الجمعيات والمؤسسات الخيرية بناء على لوائحها وأنظمتها العامة، ومن اللافت للنظر في الفترة الأخيرة كثرة الأنشطة المسماة بـ"الثقافية" التي تقوم بها بعض الجمعيات التي تهتم أعمالها بالشأن الاجتماعي سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، وهذا بالتأكيد نتيجة غياب المؤسسات الثقافية الرسمية المنضوية تحت مظلة وزارة الثقافة والإعلام وإحجامها عن القيام بدورها المنوط بها من خلال إقامة الأنشطة الثقافية؛ لهذا برزت بعض الجمعيات الخيرية في هذا المجال لتقوم بالدور أصالة عن نفسها ونيابة عن المؤسسة الثقافية الرسمية -كالأندية الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون- التي لا تزال عاجزة عن النزول إلى حاجات المجتمع الثقافية في أماكن تواجد الناس وهذا ما يسهم في إشاعة الصورة النمطية حول "الأبراج العاجية" للثقافة والمثقفين، إذ لم تستطع المؤسسة الثقافية الرسمية حتى الآن مصافحة المجتمع إن جاز لنا التعبير، وكأن إقامة الأنشطة محددة بفترة موسمية واحدة وبعدها تغيب مؤسساتنا في إجازة استثنائية طويلة؛ مما يولد فراغاً حقيقياً في الساحة الثقافية فتقوم بعض الجمعيات والمؤسسات الخيرية باستثمار هذا الغياب لتقديم البرامج على طريقتها بالاستفادة من هذا الفراغ المؤسسي الكبير لتقديم أنشطتها "الثقافية" التي لا أستطيع الجزم بأنّ لها علاقة بالثقافة، لكنها على أي حال تُقدَّم على أنها أعمال ثقافية (خيرية) ربما تكون على حساب الأعمال الخيرية التطوعية الأخرى التي تهتم بالشأن الاجتماعي على وجه الخصوص والتي تُجمع عن طريق تبرعات الموسرين من رجال الأعمال وفاعلي الخير في المجتمع الذين غالباً ما تكون العلاقات الشخصية هي الطريق الأقصر إليهم وهذا أمر شائع ومعروف، ولكن هذه العلاقة بين الطرفين قد تسمح في (تجيير) أموال المتبرّع إلى اللجان الثقافية في تلك الجمعيات رغم أنني أشك في أن المتبرع يشترط سلفاً صرف هذه الأموال في العمل شبه الثقافي المعمول به في الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي من المفترض أن تهدف أولاً وأخيراً إلى خدمة المجتمع أفراداً وجماعات وتعنى بدعم الفقراء والأيتام والمحتاجين.

وليس ثمة اعتراض على دعم الثقافة من قبل الجمعيات الخيرية إذا كانت قد قدّمت خدماتها الاجتماعية التطوعية على الوجه المأمول منها بحيث لا تصرف المبالغ الطائلة على الشؤون الثقافية بينما يتضور كثير من الأطفال جوعاً ويطلبون الهبات والصدقات من المارّة في الشوارع، هذا إذا استثنينا كثيراً من الأسر التي تعاني الفاقة والعوز وقلة الحيلة في العثور على سكن مناسب ولا يمنعها عن سؤال الناس سوى الأنفة والعفاف.

> **"أنشطة الجمعيات الخيرية "الثقافية" بشكلها المعمول به لا تدعم مقومات ثقافتنا بقدر تكريسها لثقافة الترفيه البسيطة التي تعتمد على برامج قد تكون مكلفة مادياً لكنها لا تفي بالحاجات الثقافية الحقيقية..."**

إذن ليس هناك من مبرر لإهدار جزء كبير من أموال الجمعيات الخيرية بهذه النشاطات "الثقافية-الخيرية" دون أن تصل هذه الأموال، التي تقدر بمئات الآلاف من الريالات، لصالح أكبر عدد من مستحقيها من أبناء المجتمع الذين لا يحتاجون إلى هذه الأعمال "الثقافية" -المعتمدة غالباً على التهريج والفكاهة والترفيه- بقدر حاجتهم إلى الأموال نفسها أو إلى أساسيات المعيشة التي لا يستطيعون تأمينها دون دعم ومساعدة تلك الجمعيات.

أما إذا كانت بعض المؤسسات الخيرية (مصرّة) على تقديم العمل الثقافي خيرياً فمن الضروري أن يكون هذا الأمر تحت إشراف مباشر من وزارة الثقافة التي اجتمع شتات الثقافة السعودية تحت لوائها بعد أن كانت شؤونها مفرقة بين عدة أجهزة حكومية، وقد لمسنا جهود هذه الوزارة في تفعيل العمل الثقافي من خلال بعض التغييرات الحاصلة

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 25-08-2006 العـــدد : 2156
الصفحـات : 14 المسلسل : 113

سعود البلوي*

لكن هذا الأمر غير كافٍ حقيقةً؛ إذ إن أنشطة الجمعيات الخيرية "الثقافية" بشكلها السطحي المعمول به اليوم لا تدعم مقومات ثقافتنا المحلية بقدر تكريسها لثقافة الترفيه البسيطة التي تعتمد على برامج قد تكون مكلفة مادياً لكنها لا تفي بالحاجات الثقافية الحقيقية، حيث ما زال المسرح لدينا مشلولاً ولا توجد أي ندوات وأمسيات أو ورش عمل ثقافية فاعلة تسهم—ولو قليلاً— في تقليص فقرنا الثقافي المدقع.

ليس هناك من سبيل سوى الدعم الرسمي لإنقاذ الثقافة من أزمتها وغياب الداعم الرسمي (وزارة الثقافة) للأنشطة الثقافية عامة، ومنها الأنشطة الهامشية للجمعيات الخيرية، من شأنه فتح باب الاجتهادات غير الموفقة على مصراعيه مما قد يسمح لبعض ذوي التوجهات المتشددة التغلغل لبث الأفكار في أذهان الصبية التواقين إلى العمل الخيري التطوعي الذين ربما يتجرفون إلى تيار أيديولوجيا التشدد كما يحدث في بعض المراكز والمخيمات رغم تقنينها والرقابة المشددة عليها، لذلك يجب ألاّ نغفل احتمال وجود بعض البرامج التي تكون وراءها أهداف أخرى، وليست بعض الحوادث عنا ببعيدة فمثلما تم اختراق بعض الأنشطة التربوية من قبل بعض (الإرهابيين) فإنه من غير المستبعد أن تخترق أيضاً الأنشطة "الثقافية"، ولو أخذنا الاحتمال الأضعف فإنها على أقل تقدير ربما تتحوّل إلى أبواق لدعم الوجاهة والمكانة الاجتماعية لا أكثر.

ثقتنا في الأعمال الخيرية والقائمين عليها كبيرة في هذه الوطن الغالي لكن قافلتنا الوطنية اليوم تسير في طريق محفوفة بالمصاعب، فالضرورة القصوى تقتضي أنْ لا شيء فوق مصلحة الوطن والمجتمع، ومن غير المقبول أنْ تتحرك الأمور لدينا بالاجتهادات دون وجود الضوابط الحقيقية التي يفترض تنفيذها على الأرض خصوصاً أننا نحاول الاتجاه نحو بناء قاعدة يتم على أساسها الانطلاق إلى فضاءات أرحب ترتقي بثقافة المجتمع وتصون الحقوق وتحافظ على الواجبات، وأظن أن الواجب الأول والأهم بالنسبة لجمعياتنا ومؤسساتنا الخيرية في هذا الوقت بالذات امتثال مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في الالتفاف أكثر حول الفقراء والمحتاجين ومحاصرة فقرهم وتأهيلهم إلى حياة أفضل مادياً ومعنوياً لأن الفقر (كافر) كما يقول مثلنا العربي الشهير

* كاتب سعودي
skab@alwatan.com.sa